مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٤ — وطنى

كنت عند صديق لى شاب ذكى ، نال شهادة البكالوريا ، فلم يطف بها على دواوين الحكومة يستجدى (وظيفة) ويسأل (الخزينة) حسنة ، كما يفعل كل شاب فى هذا البلد ، وإنما نزل إلى السوق ففتح للتجارة محلاً يعيش فيه سيداً عزيزاً ، على حين يعيش الموظفون مقيدين مسودين ، ويأكل خبزه بكسب يده على حين يأكله كثيرون بضائرهم وأديانهم ، ويخدم أمته هادئاً سامتاً على حين يؤذى أمتهم كثيرون ، وهم يخطبون الخطب الوطنية ، ويملأون الدنيا كلاماً جميلاً ...

كنت عند هذا الصديق ، ومن دأبى أن أزوره كلما ملت العمل أو نزلت إلى البلد ، آنس به ، وأشرف من دكانه على الدنيا فأرى ما فيها ... فرأيت رجلاً يدخل عليه ، فيريه نماذج من البضائع يعرض عليه أن يكون وكيل معملها ، والمنفرد ببيعها لما سمع عنه من الثناء وماوصف له به من الذكاء والاستقامة ، ويخبره بالأثمان ، فيتهلل وجه صاحبي ، ويشرق فرحاً بهذه الأرباح التى سينالها ، ولكنه يتريث فيسأل الرجل أن يدع له البضاعة ويتركه ساعة يفكر ، ثم يعود إليه فيأخذ الجواب ...

فيمضي الرجل ، ويميل علىّ صاحبي فيسر إلى أن هذه الصفقة أجدى عليه من دكانه وما فيه ، فأهنئه وأتمنى له ما يتمنى لصديقه الصديق ، ولكنه لا يلبث أن يقلب البضاعة فيعلو وجهه الاشمئزاز ، ويبدو عليه الغضب . فأسأله : مالك يا صاحبي ؟

فقال : مالى ؟ إنها بضاعة صهيونية !

فقلت له : وماذا يمينك منها ؟ أنت تاجر ، فبع من شاء أن يشتري ولا تدعُ إليها أحداً

قال : معاذ الله ! أأنا عدو وطنى ودينى ؟ إنى تاجر ، ولكنى أعلم أن على التاجر أن يخدم أمته من الناحية التى أقامه الله فيها كما يخدمها المعلم والموظف والصحفى ... وخدمة الأمة بأن تقدم لها منفعة فى مالها أو أخلاقها أو أبنائها أو صحتها ، أو تدرأ عنها ضرراً . ليست خدمة الأمة بالجمجمة والصياح والخطب الدوّية والمقالات الطنانة ؟

قلت : وهذا الربح الذي وصفته لى أترضى بأن تدعه لغيرك ؟

قال : من أراد أن يأخذ جمرة من جهنم فليفعل . أما أنا فلا أريد ، سيغنينى الله عنه

* * *

ولقيته بعد أيام ، فقلت : ما فعل الله بتلك الوكالة ؟

قال : رفضتها فعرضوها على أهل السوق فقبلها منهم فلان !

قلت : رئيس لجنة مقاطعة البضائع الصهيونيه ؟

قال : نعم !

٥ — معصرة

كنت أسير فى (دوما) قصبة الغوطة الشرقية ، فرأيت شارعها الأعظم (الذى يشقها شق شارع الرشيد مدينة بغداد) رأيته يمضى مستقيماً سوياً حتى إذا جاوز ثلثيها انحرف ذات اليمين وما ثمة مسجد يغشى عليه الهدم ، حتى ينحرف لأجله الشارع ولا أثر قيم ، ولا صخرة قائمة ، فعجبت وسألت صاحبي الذى كان يمشى معى

فقال : كان هنا فى سالف الدهر معصرة لوجيه من الوجهاء لم يقدر على هدمها ، فلوى من أجلها الشارع !

فقلت : هذه هى مصيبتنا ! ولو أنها معصرة واحدة لاحتملت ، ولكنا كلما خططنا فى الحياة طريقا مستقيما اعترضتنا (معصرة) لوجيه من الوجهاء . فكم من (معصرة) فى طريق الفوانين والنظم ، وفى طريق العدالة والقضاء ؟

هل خلا طريق لنا من (معصرة) ؟ فمتى تهدم هذه (المعاصر) ؟

« دمشق » على الطنطاوى

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من : مكتبة الوفد ، شارع الفلكى (باب البردة)
ومن : المكتبات العربية الشهيرة